

الفصل الثاني

تأليفه في علم الرجال

شاع التأليف في رجال الحديث في مؤلفات مستقلة في القرن الثاني إلى العصر-

الحاضر.

فاعتنى أهل العلم بالترجمة لأهل الرواية وبالمشتغلين بالحديث عبر العصور، فمن العلماء من أفراد بالتأليف البحث عن أحوال الرجال، ومنهم من ألف في الثقات ككتاب "الثقات" لابن حبان، ومنهم من ألف في الضعفاء ككتاب "الضعفاء" للبخارى والنسائي والدارقطني، ومنهم من ألف فيما هو مشترك بينهما كتواريخ البخارى، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم والطبقات لابن سعد، ومنهم من أفرد بالتأليف في الناسخ والمنسوخ كما فعل قتادة بن دعامة السدوسي المتوفى سنة ١١٨هـ، والحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن الأثرم المتوفى سنة ٢٦١هـ.

ومنهم من ألف في علل الحديث كعلي بن المديني المتوفى سنة ٣٣٤هـ، وقد ظل هذا الاهتمام سارياً في الأمة حتى بعد انتهاء عصور الرواية التي توقف بعدها التأليف في الجرح والتعديل، لكن ظل اهتمام العلماء بالتأليف في تراجم أهل الحديث وإن كان هذا على غير سبيل الجرح والتعديل لانتهاء زمن الرواية، وإنما قصدوا حفظ مآثر المحدثين وجهودهم والتعريف بمناهجهم في خدمة الحديث النبوي الشريف.

ومن قام بخدمة هذا الجانب من العلماء المعاصرين. الدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم... فقد ألفا هذا الكتاب... وكان سبب تأليفهما هذا الكتاب... العيد الألفي للأزهر الشريف، قال الشيخ أحمد عمر: كان سبب تأليف هذا الكتاب... بمناسبة العيد الألفي للأزهر الشريف... يقول طلبت مشيخة الأزهر منا تأليف هذا الكتاب، وكان بتوجيه من شيخ الأزهر أننذ فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق، لإبراز ما قدمته مصر في خدمة السنة المطهرة والعالم الإسلامي من جهود تُذكر فتشكر، على أيدي أئمة من المحدثين عبر العصور من القرن الثاني الهجري حتى يومنا هذا، فألف الشيخان هذا الكتاب "المحدثون في مصر والأزهر ودورهم في إحياء السنة

وجمعنا فيه تراجم للمحدثين من عصر النبوة حتى عصرنا الحالي^(١).

وقد تناول العالمان الجليان في هذا الكتاب لمحة عن تاريخ الأزهر، ثم لمحة عن مصر في القرآن والسنة... أشهر الصحابة الذين نزلوا مصر، والمحدثون في مصر والأزهر في القرن الثاني، ومصر والأزهر في خدمة السنة وإضاءة العالم الإسلامي، ومناهج تدوين الحديث في مصر وغيرها، والعلوم التي صاحبت تدوين السنة، وعلوم السنة، وأئمة القرن الثاني الهجري، والمحدثون في مصر والأزهر من القرن الثالث حتى آخر القرن العاشر، والمحدثون المصريون من القرن الحادي عشر حتى القرن الرابع عشر الهجري، ثم ختما بمقارن الحديث النبوي.

لمحة عن تاريخ الأزهر:

قال الشيخان:

شاء الله تعالى للفتوح الإسلامية أن تتوالى، وأن تتسع فتم فتح مصر سنة عشرين من الهجرة كما فتح غيرها من الأقطار والمدن الإسلامية، ودخل كثير من أهل هذه البلاد في الإسلام، فأرسل الخلفاء إليهم من الصحابة، من يعلمهم ويفقههم ومن الصحابة من رحل إلى تلك الأقطار معلما وموجها، ومنهم من استوطن هناك حتى توفي.

وفي كل قطر إسلامي نزل فيه الصحابة كان يلتف حولهم طلاب العلم والحديث

(١) وهذا الكتاب سبق في رصد الحركة الحديثة في الفترة المتأخرة في مصر.

لا بد من البناء على هذه الخطوة ولا بد من إكمال هذا المشروع برصد الوثائق والإجازات والمخطوطات التي تكشف لنا عن بقية أبعاد حركة الحديث في مصر.

الحاجة إلى هذا الكتاب شديدة لإيراده المحدثين في الأزهر والرد على من يقول أن الأزهر ليس فيه شيئا من الحديث.

النبوي، فتخرج على أيديهم في كل مكان طبقة من التابعين، كونوا مدارس للحديث الشريف لم تكن على ما نحن عليه الآن، ولكنها في بساطتها كانت أكثر تحصيلاً وتطبيقاً وإشراقاً ونوراً وكانت المساجد آنئذ هي ملتقى شيوخهم، يجتمعون بهم ويحدثونهم ويفقهونهم حتى نهض في كل قطر جيل من التابعين كانوا حماة للسنن النبوية المطهرة، وحملوا لمشاعل النور والهداية ثم تتابعت الأجيال من أتباع التابعين والأئمة وعلماء المسلمين وكان لمصر شرف استقبال الصحابة الذين عاشوا فيها ونشروا الإسلام والسنن بين أرجائها، وقامت بها حلقات الحديث والعلم في مساجدها. إلى أن أشرق في مصر- "الجامع الأزهر" الذي أسس في جمادى من عام ٣٥٩هـ.

وقد أدى المسلمون فيه أول جمعة في رمضان ٣٦١هـ حيث تم بناؤه منذ ذلك الحين، ولئن كان تاريخ الحلقات في جنباته وبين أروقته قد بدا في القرن الرابع الهجري، إلا أن أصوله تبدأ منذ الفتح الإسلامي لمصر حيث نزل الصحابة فرووا الأحاديث ونشروا العلم وكونوا طلائع جيل المحدثين في مصر.

ولذا يعتبر تاريخ الزهر بحق موصولاً بهذا الجيل فقد انتقلت النهضة العلمية من جامع عمرو بن العاص إلى الأزهر وكان لجامع عمرو بن العاص وجامع ابن طولون أدوار متعاقبة مترابطة في خدمة الثقافة الإسلامية ونشر الحديث النبوي.

وما أن نهض الأزهر في القرن الرابع الهجري قلعة حصينة للإسلام وعلومه، وللجنة النبوية، إلا وتلقف أعظم تراث في الوجود بعد أن كادت تطيح به هجمات التتار الشرسة فحافظ على الإسلام وعلومه، وفتح الأزهر أبوابه لكل طالب من طلاب العلم والشرعية، فحلقات الدروس مفتوحة لكل مسلم لا تقتصر على أحد دون أحد، ولا على قطر دون قطر، فهي تضم جميع أبناء المسلمين من سائر أنحاء العالم الإسلامي، وقامت حوله الأروقة التي تتمثل فيها سائر الدول والأقطار الإسلامية لأن رسالته عالمية تستمد عالميتها من عالمية الإسلام.

ثم قال المؤلفان وسنقدم في هذا الكتاب - بعون الله وتوفيقه - لمحات لدراسة أشهر المحدثين المصريين، وليقف القراء على دور مصر والأزهر في خدمة الحديث النبوي بصفة خاصة وخدمة الثقافة الإسلامية الأصيلة بصفة عامة انتصارا للإسلام وتجليه لجهود سلفنا وعلماء هذه القلعة الحصينة "الأزهر الشريف".

لمحة عن مصر في القرآن والسنة:

قال الشيخان: لقد ذكر الله تعالى مصر في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها ما هو صريح اللفظ ومنها ما دلت عليه القرائن.

فأما صريح اللفظ فمنه:

قوله تعالى: {اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم} ^(١).

وقوله تعالى: {وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر - بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة} ^(٢).

وقوله سبحانه مخبرا عن نبيه يوسف عليه السلام: {ادخلوا مصر - إن شاء الله آمنين} ^(٣).

وأما ما دلت عليه القرائن فكقوله تعالى مخبرا عن نبيه يوسف عليه السلام: {اجعلني على خزائن الأرض إن حفيظ عليم} ^(٤).

(١) البقرة - ٦١.

(٢) يونس - ٨٧.

(٣) يوسف - ٩٩.

(٤) يوسف - ٥٥.

وقوله تعالى: {وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين} ^(١).

وقوله تعالى: {فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين} ^(٢).

ومن فضائل مصر جبلها المقدس، ونيلها المبارك بها الطور الذي كلم الله نبيه موسى عليه السلام عليه وبها الوادي المقدس، وبها فلق الله البحر لموسى، وبه ولد موسى وهارون ولقمان وكان بمصر إبراهيم الخليل وإسماعيل ويعقوب ويوسف وبها الأزهر المعمور وحب مصر وأهلها كرامة واعتزازا وفضلا وصية رسول الله ﷺ التي جاءت بها السنة النبوية حيث يوصى بأهلها لأن لهم ذمة ورحمة.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه قال: حدثني أبو الطاهر أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن وهب حرصلة - ح - وحدثني هارون ابن سعد الإيلي، حدثنا بن وهب حدثني حرصله "وهو ابن عمران التجيبي" عن عبد الرحمن بن شماسه المهري قال: سمعت أبا ذر يقول:

قال رسول الله ﷺ: إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوحوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحمة....." وروى هذا الحديث مسلم أيضا برواية أخرى بلفظ "إنكم ستفتحون مصر" والمراد بالقيراط المذكور في الحديث، جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرها، وكان أهل مصر يكثر من استعماله والتكلم به، وأما الذمة فهي الحرمة والحق، وهي هنا بمعنى الزمام، وأما الرحم: فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم وفي الرواية الثانية "إذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة

(١) المؤمنون - ٢٠.

(٢) المائدة - ٢٦.

وأخرج ابن عبد الحكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض "فقال أبو بكر: ولم يا رسول الله؟ قال لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة"^(٢).

من أشهر الصحابة الذين نزلوا مصر:

وقد تناول الشيخان جماعة من أشهر الصحابة الذين نزلوا مصر، فقال الشيخان -" دخل مصر من صحابة رسول الله ﷺ عدد كثير، وقد كان لهم أكبر الأثر في تخرج جيل جديد من بعدهم من التابعين ثم أتباع التابعين وهكذا.

حيث تسلسلت الروايات الحديثة عنهم؛ وروى التابعون عنهم كما روى أتباع التابعين عن التابعين وهكذا، مما كان له الأثر في إضاءة الحياة الإسلامية في مصر بنور العلم والحديث منذ الفتح الإسلامي إلى أن قام الأزهر الشريف بعلمائه الأعلام الذين تسلسلت مروياتهم وتناثرت معارفهم وانتقلت عن طريق ثابت صحيح.

وقد خص بعض العلماء الصحابة الذين نزلوا مصر بالتأليف مثل السيوطي في كتابه "الصحابة فيمن دخل مصر من الصحابة"

ونلاحظ أن الشيخين بدأ بالمكثرين منهم بالرواية وخصهم بترجمة خاصة ثم ترجما لباقي الصحابة.

وها هي نماذج لصنيع الشيخين.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي بأهل مصر، ج٤، ص—

١٩٧، ٢٥٤٣.

(٢) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة، ج١، ص ٦٠٩، ولم يعلق عليه.

النموذج الأول: ترجمة عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

نسبه: عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي وأمّه زينب بنت مظعون بن حبيب الجمحي أخت عثمان ابن مظعون ولد في السنة الثانية أو الثالثة من المبعث وأسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم.

مشاهده:

عرض على رسول الله وهو ابن أربع عشرة في أحد فلم يجزه وعرض عليه في الخندق فأجازه وهو أول مشهد شهده - وشهد غزوة مؤتة واليرموك وفتح مصر - وأفريقية وقدم إلى فارس غازيا . وهكذا ترى نشاطه الحري كان عظيما حيث خاض أعنف المعارك وأبلغها في حياة الإسلام والمسلمين ولا غزو أن أضافت تلك الأجداد الحربية إليه مكانة في النفوس.

علمه :

كان من النجباء الفاهمين من فيض النبوة واستفاد من جو الرسالة وحضر كثيرا من المجالس النبوية الشريفة وفي أحد المجالس قال النبي ﷺ لأصحابه "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم فحدثوني ما هي؟ قال عبد الله فوقع في نفسي أنها نخلة - ووقع الناس في شجر البوادي . ثم قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: النخلة - فلما عرف عمر استحياؤه عن الإجابة لصغره قال له "وددت لو قتلها ولا أملك كذا وكذا تشجيعا له"

ثم يقول الشيخان : وكان دقيق العلم خالص الورع محافظا على السنة روى مالك في الموطأ عن نافع وعبد الله بن دينار أنهما أخبراه أن عبد الله بن عمر قدم الكوفة على سعد بن أبي وقاص وهو أميرها فرآه عبد الله بن عمر يمسح على الخفين فأنكر ذلك عليه فقال : أسألت أباك ؟ فقال: لا فسأله عبد الله فقال : عمر : إذا أدخلت في الخفين وهما طاهرتان فامسح عليهما - قال عبد الله وإن جاء أحد من الغائط، ومناقشته مع الصحابة للتعلم أو التعليم كثيرة ومشهورة.

شجاعة في الحق:

يقول الشيخان :- لما فرض عمر لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف وفرض لابنه عبد الله ألفين وخمسمائة قال له : يا أبت : لم تفرض لأسامة ثلاثة آلاف ولى ألفين وخمسمائة والله ما شهد أسامة مشهد غبت عنه ولا شهد أبوه مشهدا غاب عنه أبى قال: صدقت يا بنى ولكنى اشهد لأبيه كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك _ وعلق الحاكم على ذلك بقوله : فشهد له عمر بأنه لا ينام فى الليل إلا قليلا.

عبادته وورعه:

عن نافع عن ابن عمر أنه كان يحيى الليل صلاة لا ينام ثم يقول : يا نافع أسحرنا ؟ فأقول : لا فيعاود الصلاة ثم يقول يا نافع أسحرنا ؟ فأقول نعم فيقعد فيستغفر ويدعو حتى يصبح . وكان شديد الاحتياط والتوقى لدينه اشتهر بذلك بين الصحابة فعن جابر رضى الله عنه قال: ما منا أحد أدرك الدنيا إلا قدما لت به ومال بها إلا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . وعنه أيضا قال: إذا سرکم أن تنظر وإلى أصحاب محمد ﷺ لم يتغيروا ولم يدلوا فانظروا إلى ابن عمر...

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما رأيت أحدا أزم للأمر الأول من ابن عمر وعن نافع قال : إن كان ابن عمر ليقسم فى المجلس ثلاثين ثم يأتى عليه شهر ما يأكل فيه مزعة لحم ...

وكان بعد رسول الله ﷺ يكثر الحج والتصدق حتى استغل رقيقة حبة الإنفاق فكان أحدهم ربما لازم المسجد فإذا رآه ابن عمر على تلك الحسنة أعتقه فيقال له : إنهم يخذعونك فيقول من خدعنا بالله انخدعنا فكان إذا قرأ هذه الآية : { ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ... } الآية ^(١).

(١) سورة الحديد (٢١).

يحكى حتى يغلبه البكاء ... وكان إذا ذكر أمامه رسول الله ﷺ بكى ... وسئل عنه نافع : ما كان يصنع في منزله قال : الوضوء لكل صلاة والمصحف فيما بينهما ... فلا غرو إذا عقدت المقارنة بينه وبين أبيه.

وتوفي عبد الله بن عمر وما في زمانه من يشبهه : قال : اخذ النبي ﷺ بمنكبي وقال : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ... وكان يقول : إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك ... وروى عن رسول الله ﷺ قوله : ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده. وفي رواية ثلاث ليال ثم قال : ما مرت على ليله منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيقي ... فيا لله لتلك النفوس الطاهرة التي باعت الدنيا والآخرة وحرصت على العلم فكتبت لهم السيادة وتحققت لهم العزة في الدنيا والفوز في الآخرة.

ابن عمر راويا وفقهيا :

كان متشددا في الرواية في الرواية حريصا على أداء ما سمع بلا زيادة ولا نقص، فعن أبي جعفر قال: لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ حديثا أحذر أن لا يزيد ولا ينقص من ابن عمر ... وعن مالك، قال لى شهاب : لا تعدلن رأى ابن عمر فإنه أقام بعد رسول الله سنة فلم يخف عليه شيء من أمر رسول الله ولا من أمر أصحابه. وقد نقل صاحب الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد نماذج من فتاواه اخترنا منها ما روى عن ابن جريح أنه قال لعبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - : يا أبا عبد الرحمن رأيتك تضع أربعا لم أرض أصحابك من يضعها .. قال : ما هن يا ابن جريح ؟ قال : رأيتك لا تمس من الأركان إلا اليمانين ؟ ورأيتك تصبغ بالصفرة ؟ ورأيتك إذا كنت بمكة أهل الناس إذا رأوا الهلال ولم تهل أنت حتى يكون يوم التروية.

فقال عبد الله: أما الأركان فإني لم أدر رسول الله ﷺ يمس إلا اليمانيين... وأما النعال السبئية فإني رأيت .. رسول الله ﷺ يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضأ فيها فأنا أحب أن أكسيها...

وأما الصفرة فإني رأيت رسول الله ﷺ يصغ بها فأنا أحب أن أصبغ بها.

وأما الإهلال فإني لم أدر رسول الله ﷺ حتى تنبعث به ناقتة.

ثم قالوا: والناظر في كتب السنة يجده مشحونة برواياته وآرائه وفتاويه ومواقفه المحمودة حتى إنه كان كثيرا ما يقول لا أدري إذا سئل خوفا من أن يقول في الدين بالرأى أو تجره الأسئلة إلى القول بغير علم.

وفاته:

قالا: حكى مولى له قال: إنه أنكر على الحجاج بن يوسف أفاعيله في قتل ابن الزبير وقام إليه فأسمعه فقال الحجاج اسكت يا شيخ قد خرفت فلما تفرقوا أمر الحجاج رجلا من أهل الشام فضربه بجرية في رجله ثم دخل الحجاج يعوده فقال: لو أعلم الذي أصابك - لضربت عنقه فقال: أنت الذي أصبتني - قال: كيف؟ قال: يوم أدخلت حرم الله السلاح ... ووصى بها ابنه سالما أن يدفنه خارجا من الحرم فلم يقدر فدفن بالحرم في مقبرة المهاجرين.. وكان ذلك في سنة أوك وسبعين من الهجرة وهو يوم مات ابن أربع وثمانين سنة...

آثاره ورواياته^(١):

عرضا الشيخان آثاره ورواياته بعبارة موجزة مختصرة إلا أنها ليست منحلة فقالا:

روى النبي ﷺ فأكثرُوا عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي ذر ومعاذ بن جبل ورافع بن خديج وأبي هريرة وعائشة

وروى عنه ابن عباس وجابر وغيرهما من الصحابة ومن التابعين بنوه سالم وعبد الله وحمزة وبلال وزيد وعبد الله ومصعب بن المسيب "وأسلم مولى عمر ونافع مولا"، وخلق كثير، وعده ابن حزم من أكثر الصحابة فتيا مطلقا ... وعدوه من المكثرين في الحديث فقد روى عنه ألفا حديث وستمئة وثلاثون حديث.

ومن أصح لأسانيد إليه بل لقد عدها بعض العلماء أصح الأسانيد على الإطلاق مالك عن نافع عن ابن عمر وقيل الزهري عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر...

ثناء العلماء عليه:

ختم الشيخان بثناء العلماء عليه على خلاف عادة كثير من أصحاب كتب التراجم فقالا:

عن حذيفة قال : لقد تركنا رسول الله ﷺ يوم توفي وما منا أحد إلا وتغير عما كان عليه إلا عمر وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما..

وعن سعيد بن المسيب قال: لو شهدت على أحد أنه من أهل الجنة لشهدت على ابن عمر وعنه أيضا: كان ابن عمر حين مات خير من بقي؟ وعن طاووس ما رأيت رجلا أروع من ابن عمر بل قال عبد الله ابن مسعود: إن أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا

(١) لاحظت أن الشيخان قدما وفاته على أرائه ورواياته وثناء العلماء عليه، على خلاف صنيع أصحاب كتب التراجم كالبخاري وابن أبي حاتم وغيرهما.

عبد الله بن عمر ...

رحم الله ابن عمر كان علماء من أعلام الإسلام في السلم والحرب وفي مواقف الجد وفي مواقف الحزم وفي مواقف الورع، وفقنا الله إلى الاقتداء به وأمثاله والسير على نهجهم إلى يوم الدين ...

الصحابة الذين دخلوا مصر

نموذج من الصحابة الذين دخلوا مصر:

أبى عمارة - بكسر العين؟ و قيل بضمها. أحد من صلى للقبليتين؟ ذكره ابن عبد الحكم فيمن دخل مصر من الصحابة، وقال: لأهل مصر عنه حديث واحد ذكر ابن الكلبى أن أباه عمارة أدرك خالد بن سنان قال الشيطان: وقال المزى في التهذيب: مدنى سكن مصر وله صحبة وحديث في المسح على الخفين..

النموذج الثانى :-

حاطب بن أبى بلتعة^(١) - بفتح الموحدة والفوقية والمهملة ولام ساكنة - ابن عمر بن عمير اللخمى - شهد بدرًا؟ ودخل مصر رسولاً للنبي ﷺ إلى المقوقس؟ ثم ورد عليه أيضاً رسولاً من أبى بكر . روى مسلم عن جابر، أن عبدا لحاطب بن أبى بلتعة؟ جاء يشكو حاطباً فقال: يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار، فقال: "لا، إنه شهد بدرًا والحديبية" مات سنة ثلاثين، وله خمس وستون سنة.

قال ابن عبد البر: لا أعلم له غير حديث واحد: "من ذارنى بعد موتى"^(٢) الحديث، ووجد له ثلاثة أحاديث غيره ...

(١) الإصابة: "ابن الكلبي عن أبيه، أنه أحدكم، وأن أباه عمارة" ابن عبد الحكم - ٣١.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب، باب فضل الحج والعمرة، ج ٦، ص ٤٦، ح ٣٨٥٥.

المتحدثون في مصر والأزهر في القرن الثانى؛

قال المؤلفان: يشرق هذا القرن موصولاً بسابقه ... حيث صحابة رسول الله ﷺ الذين نزلوا مصر، وقاموا بأسمى مهمة، ينشرون العلم، ويبلغون الناس الأحاديث، ويعلمونهم الأحكام، ويفقهونهم، وتخرج على أيديهم جيل من التابعين روى عن الصحابة - بمصر- منهم أبو الخير مرتد بن عبد الله اليزنى مفتى أهل مصر آنذاك وقد روى عن أبي أيوب الأنصارى وأبي بصرة الغفارى وعقبة بن عامر الجهنى.

ومنهم يزيد بن أبي حبيب روى عن بعض الصحابة وأكثر رواياته عن التابعين وهكذا أشرق هذا العهد موصولاً بسابته متأثراً به، وقامت به نهضة كبرى على يد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الذى كان له الأثر في تدوين الحديث النبوى...
عمر بن عبد العزيز أحد المحدثين في مصر في القرن الأول وبداية القرن الثانى ذكره المؤلفان كنموذج للمحدثين في مصر في القرن الثانى...

فقالا:

الخليفة عمر بن عبد العزيز ..

في مصر، وحلوان، ولد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن أبى العاص بن أمية القرشى الأموى التابعى العظيم وذلك سنة إحدى وستين..

حفظ القرآن الكريم وهو صغير، وأرسله إلى المدينة ليحفظ السنن فكان يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ... وولى إدارة المدينة زمناً في خلافة الوليد، ثم قدم الشام سنة ٩٣ وبويع بالخلافة سنة ٩٩ رضى الله عنه ..

سمع الحديث النبوى :من أنس بن مالك والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله بن سلام، وخولة بنت حكيم وغيرهم...

وروى عنه: كثير من التابعين منهم أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو بكر بن محمد

بن عمرو بن حزم والزهرى يحيى الأنصارى وكان رضى الله عنه محبا للحديث شغوفاً به كبير العناية بالسنة حفظاً وتدويناً..

وكان ثقة حجة حافظاً شهد له العلماء بالحفظ والأمانة حتى لقد كان يقترب بكثير من العلماء والكتاب وكانوا يعتبرون عمر بن عبد العزيز المجدد الأول للإسلام على رأس المائة الأولى من الهجرة... ويا لها من منزلة سامية...

والواقع أن الفترة القصيرة التي قضاها الإمام العادل عمر بن عبد العزيز في خلافته كانت عودة مباركة إلى هذا العهد النبوى المشرق الذى استضأت أنواره على عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وعلى عهد الخلفاء الراشدين الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين..

وإذا كنا نرى الخيرات والبركات تفيض على أيدي هؤلاء الأربعة الراشدين فيجب أن نتذكر ذلك التمهيد الطويل الذى قام به الرسول صلوات الله عليه ليجمع الطريق لمن بعده معتدلاً مستقيماً، ومن هنا أقبل كل خليفة من هؤلاء الأربعة، فاستقام وتابع، وزاد في الخير...

ولكن عمر بن عبد العزيز جاء في فترة عصيبة : ظهرت فيها طوائف وأحزاب، ونشبت خلالها فتن ومحن؟ واتسعت الفجوة بين الحكيمين والمحكومين؟ وتحدث الناس عن المظالم والمآثم... فإذا عمر يقبل إقبال الفجر الصادق... فيرد المظالم، وينصف المظلومين، ويؤدب الخارجين، وينشر السلام والأمان والإحسان بين جميع الناس... فلا عجب أن يجعله المؤرخون خامس الخلفاء عليه رضوان...

ثم تحدث المؤلفان : عن مواقف عظيمة من أعماله المباركة.

فقال: كان للخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، مواقفه الرائعة فبإقرار الأمن والعدالة واتخاذ أرق الأساليب وأحكمها في إدارة شئون الدولة.

فقد كتب إلى عروة واليه على اليمن يقول:

"أما بعد، فإني أكتب إليك أمرك أنعلى ترد المسلمين مظلهم... وتراجعني. وأنت تعرف بعد ما بيني وبينك، ولا تعرف أخذات الموت.. حتى لو كتبت إليك... اردد على مسلم مظلمة لكتبت إلى: أردھا عفراء أو سوداء. انظر أن ترد على المسلمين مظلهم ولا تراجعني".

وكان عمر يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامله على المدينة في المظالم، فيراجعها فيها، فكتب إليه عمر:

"ولو كتبت إليك بإحداهما، لكتبت إلى: أصغيرة أم كبيرة؟ ولو كتبت إليك بإحداهما، لكتبت: أضعانة أم مغري؟ فإذا كتبت إليك فنفذ ولا ترد على والسلام".
وعن يحيى بن أبي كثير، قال: "كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله أن أجروا على طلبة العلم الرزق، وفرغوهم للطلب"

وكتب إلى وإلى حمص يقول له: بدأ نظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقہ، وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا، فأعط كل رجل منهم مائة دينار يستغنون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين، حين يأتيك كتابي هذا وإن خير الخير أعجله. والسلام عليكم".

وكتب إلى واليه في رسالة أخرى: لأمر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم لئلا يشغلهم عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث..."

وجاءه رجل فقال له: "وإني زرعت زرعاً، فمر به جيش من أهل الشام فأفسده" فعوضه عمر عن ذلك عشرة آلاف درهم...

وكتب إلى خزينة بيت الموالم بأن يأخذوا من الأفراد النقود الكاسدة التي ال يقبلها الناس، ولا حيلة لهم في أمرها... فقال عمر لهؤلاء الخزنة :

"إذا أتاكم الضعيف بالدينار لا ينفق عنده، فأبدلوه من بيت المال ..."

خرج عمر ذات يوم من منزله على بغلة له شهباء، وعليه قميص له وملاءة ممشقة إذا رجل على راحلة له فأناخها، فسأل عن عمر، فقيل له: قد خرج وهو راجع الات ... ثم رجع عمر، فقام إليه رجل فشكا إليه عدى بن أرطاة في أرض له..

فأمر عمر برد الأرض إلى رجل، ثم قال له: "كم أنفقت في مجيئك إلى؟"
فقال الرجل: "يا أمير المؤمنين، تسألني عن نفقتي، وأنت قد رددت على أرضي، وهي خير من مائة ألف".

فقال عمر: "إنما رددت عليك حقك، فأخبرني كم أنفقت؟"

قال الرجل "ما أدري".

قال عمر: "أحرزه" (قدره بالتقريب).

قال الرجل: "ستين درهما".

فأمر عمر بها من بيت المال..

ولما انصرف الرجل مسرورا، صاح به عمر، فرجع إليه، فقال له عمر:

"خذ، هذه خمسة دراهم من مالي: فكل بها لحما حتى ترجع إن شاء الله".

وهذه امرأة من أهل مصر تسمى "فرتونة" وكانت مسكينة فقيرة سوداء، وكان لها بيت صغير متواضع تهدم بعض جوانبه، وكانت لها بعض دجاجات تربيتها لتستعين بها على حياتها... ولكن اللصوص كانوا يعتدون عليها، ويسرقون منها دجاجها بسبب تهدم بيتها .

وسمعت المرأة بعدالة الخليفة عمر، وحبه للخير، وحرصه على مصالح العباد فكتبت خطابا إلى عمر تشرح فيه قصتها، وترجوه أن يحصن لها بيتها، لأنها لا تستطيع ذلك، وأن

يحميها من اللصوص الذين يفجعونها في دجاجها، وبعثت بهذا الخطاب إلى عمر مع بريد مصر
الذاهب إلى الخليفة في دمشق الشام.

وكان من الممكن أن يضل هذا الخطاب بين ركام البريد الضخم الوارد من أنحاء
الدولة الواسعة، وكان من الممكن أن تغضى عنه عين المراجع للبريد أو المطلع عليه، وكان
من الممكن، تلحظه العين ثم لا تقيم له كبير وزن... لأنه ليس متعلقا بأمر جليل أو
خطير.

ولكن الحاكم العادل، والخليفة الراشد، والإمام الرحيم رأى أن ذلك موضوع
له جلالته وخطورته، ويجب أن يهتم له ويعتنى به، فكتب عمر إلى أيوب بن شرحبيل
واليه على مصر كتاب عمريا خليفة يقول فيه:

"من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى أيوب بن شرحبيل، أما بعد، فإن فرتونة
مولاه ذى أصبح كتبت إلى تذكر حائطها، وأنه يسرق منه دجاجها، وتسأل تحصينه لها فإذا
جاءك كتابي هذا، فاركب أنت بنفسك إليه حتى تحصنه لها...."

فلما جاء الكتاب إلى أيوب، ركب بنفسه حتى بلغ الجيزة وهو يسأل عن "فرتونة"
حتى وجدها.... وإذا هي سوداء مسكينة، فأخبرها بكتاب أمير المؤمنين، وحصن لها
بيتها...

عناية الخليفة عمر بن عبد العزيز بالسنة وطلابها:

علقا المؤلفان على عناية الخليفة بالسنة وطلابها.... بأسلوب ميسور

فقالا: لقد كان الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز يحرص أشد الحرص على نشر-
السنة وتبليغها، وتعليمها للناس، وكان يكتب إلى عماله أن يجدوا على طلابها و
المشتغلين بالعلم الرزق وأن يفرغهم لطلب العلم..

فعن يحيى بن أبي كثير قال:

"كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله أن أجروا على طلبة العلم الرزق وفرغوهم للطلب".

ثم علقا على هذا فقالا:- إنه يريد أن يتفرغ طلاب العلم للعلم، وألا يشغلهم طلب الرزق والسعي على المعاش عن طلب العلم، حتى يعنوا بالعلم عناية فائقة، وحتى يتمحض طلبهم له، وحفظهم وحرصهم وهضمهم للعلوم والأحكام والسنن، وحتى لا تضطرهم مطالب المعاش إلى الخروج والسعي، والبحث والتعب فيأخذ كل هذا من أوقاتهم الكثير، فهو يرى أن توفير معاشهم وتفرغهم لطلب العلم سوف يجعلهم يتقنون العلم أشد إتقان.

ولعله يكون أول من أجرى راتباً وشجع طلاب العلم، ولهذا المسلك الكريم مثيله في الأزهر الشريف الذي أجرى لطلاب العلم راتباً يشجعهم على الطلب وهو ما كان يسمى قديماً الجراية..

وكان لعمر بن عبد العزيز الفضل في تدوين الحديث النبوي تدويناً رسمياً عندما أصدر أمره إلى علماء الأفاق ليجمعوا الحديث ويدونوه.

وروى البخاري^(١) في باب كيف يقبض العلم :

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ: انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكْتُبْهُ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ، وَلَا تَقْبَلْ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلْتُفَسِّحُوا الْعِلْمَ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا» حَدَّثَنَا الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ: بِذَلِكَ، يَغْنِي حَدِيثَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، إِلَى قَوْلِهِ: ذَهَابَ الْعُلَمَاءُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ج١، ص ٣١.

وكان أول من لبى أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بتدوين السنة هو الإمام ابن شهاب الزهري، ثم كثر التدوين بعد ذلك.

وهكذا تتضح لنا همة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز وعنايته بالسنة النبوية وتدوينها، وعنايته بطلاب العلم والحديث وهى عناية فجرت النهضة الحديثة فى وفى سائر الأقطار الإسلامية...

مصر والأزهر فى خدمة السنة وإضاءة العالم الإسلامى:

قال المؤلفان:

بدأت تعاليم الإسلام أول ما بدأت فى عهد الرسول ﷺ، حيث كان الرسول ﷺ يعلم المسلمين فى المسجد، وقد تتابعت حلقات العلم فى المسجد الحرام والمسجد النبوى والمسجد الأقصى، والمسجد الأموى بدمشق، وجامع عمرو بن العاص فى القسطنطينية . وتبع هذه المساجد حلقات الجامع الأزهر فى القاهرة وجامع الزيتونة فى تونس وجامع القيرويين فى فاس .

وكان لمصر دور بارز فى طليعة الأقطار الإسلامية، ففى مسجد عمرو بن العاص بالقسطنطينية كان للإمام الشافعى رضى الله عنه حلقة علمية زاهرة كان يملأ فيها أمانه الجديدة فى أصول الفقه وكان الإمام الشافعى أول من دون علم أصول الفقه والحديث . ومنذ إنشاء الأزهر سنة إحدى وستين وثلاثمائة من الهجرة وهو يقوم بأدواره القيادية وكفاحه الوطنى إلى جانب نشر الإسلام وتعاليمه ومدارسه القرآن الكريم والحديث الشريف...

وكان الأزهر الشريف يمثل القلعة الشامخة أمام كل المحاولات التى قصد بها تدمير الكيان الإسلامى والروحى للمسلمين....

وقد استضاءت أقطار العالم بعلوم الأزهر وتراثه، وبفضل جهوده المشكورة

والموصولة في نشر الإسلام وتعاليمه ظل يزداد عدد المسلمين في القارة عدة ملايين..وقد بعث كثير من أقطار العالم وشعوبه بعوثها لتنهل من علوم الأزهر، وظل الأزهر يبعث بعلمائه إلى تلك البلاد والأقطار، مما كان له أكبر الأثر في توثيق علاقة مصر- بأقطار العالم، وطبقت شهرة الأزهر الآفاق واحتل مكانة مرموقة في نفوس أبناء الدنيا.

وقد بدأ الأزهر أول ما بدأ كجامع للخلافة الفاطمية، ولكن هذا لم يمنعه من قيام تلك الحلقات في داخله التي تدرس فيها جميع المذاهب الفقهية وعلوم الدين واللغة والكتاب والسنة.

وفي عام خمس وتسعين وأربعمائة هجرية وجه حاكم مصر آنئذ وهو الخليفة المنصور الدعوة إلى حجاج بيت الله الحرام حيث كانوا يمرون بالقاهرة في طريقهم قادمين من شمال أفريقيا وغربها.

والتقى علماء مصر معهم في مؤتمر عالمي تم فيه تبادل الرأي في تفسير ما صنفه الفقهاء، على مختلف مذاهبهم، وظل اللقاء لسنوي حتى العصر- الأيوبي حيث توحدت كلمة المسلمين لمواجهة التحديات الصليبية التي تتربص بهم الدوائر.

وانتشر علم من علومه الأزهر وسار بجهوده الركبان فقصده - في عهد المماليك- طلاب من المغاربة سكان شمالي أفريقيا والزيالة سكان ساحل أفريقيا الشرقي لينهلوا من علومه.

وفي سنة أربع وألف من الهجرة قام والى مصر محمد باشا بتشجيع الطلاب من أبناء أفريقيا والبلاد المجاورة ليلتحقوا بالأزهر وقرر لهم إقامة على نفقته ورواتب أسبوعية.

وشجع حكام مصر وعلماء الأزهر طلاب العالم للالتحاق بالأزهر وقامت حول الأزهر الشريف وقامت حول الأزهر الشريف أروقة سميت بأسماء تلك البلاد التي وفد

أبناءؤها إلى الأزهر وأقاموا فيه طلبا للعلم.

وقد آثار حفيظة الاستعمار ما رآه من إقبال أبناء العالم الإسلامي على الأزهر وتلك الروابط الوثيقة التي تمت بين مصر وبين العالم بسبب الأزهر، وأزعج الاستعمار هذا، فسعى بكل السبل والحيل إلى تدمير تلك الروابط، والمحاولة إثرا الأخرى على التقليل من مكانة الأزهر.

وحاول المستعمرون أن يوقفوا هذا التيار المتدفق من جميع بلاد الدنيا على الأزهر، ومن ذلك نرى أن الإنجليز مثلا في السودان أنشأوا المعهد العلمي بأمر درمان محولين أن يكون صورة من الأزهر رغبة منهم أن يصرفوا الناس عن الالتحاق بالأزهر.

ولكن أهل السودان كانوا أقوى حرصا وذكاء فقصوا على تلك الفكرة حيث كانوا يبعثون بأبنائهم لتلقى المعارف والعلوم في المعهد العلمي ثم بعد ذلك يبعثون بأبنائهم ليكملوا علوم الإسلام ومعارفه في القاهرة حيث الأزهر الشريف واستمر الأزهر صابرا ومثابرا ومجاهدا فتبليغ علوم الدين واللغة، ومواجهها كل الطعنات الاستعمارية، والمحاولات والمؤامرات الماكرة بقوة وإيمان وصبر وجهاد فما قللت تلك المؤامرات من مركزه ومكانته ولا استطاعت أن تثنيه عن رسالته.

بل أقام الأزهر معهدا خاصا بالبعوث الإسلامية يستقبل الطلاب الوافدين من بلاد أفريقيا ومن سائر أنحاء بلاد العالم الإسلامي حيث تبدأ الدراسة في هذا المعهد بالقسم الإعدادي لمن لا يجيد اللغة العربية ثم بعد ذلك يتلقى الطلاب المناهج المعتادة في الأزهر.

وإلى جانب هذا المعهد قامت مدينة لإقامة هؤلاء الطلاب الوافدين تسمى بمدينة البعث الإسلامية لراحة هؤلاء الطلاب وإقامتهم ومساعدتهم ليستقروا.

كما اضطلع الأزهر برسالة كبرى حيث بعث بعلمائه ومبعوثيه إلى البلاد الإسلامية لنشر علوم الإسلامية واللغة العربية فتلک البلاد وتصحيح ما أفسده الاستعمار في بعض البلاد بفعل سياسته الاستعمارية في أمر اللغة العربية والعلوم

الإسلامية، كما استقبل على مر أدوار التاريخ طلاب العالم الإسلامي نفروا إليه لينهلوا من مورده وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم حتى بلغ عدد البلاد التي وفد منها طلاب العلم أكثر من مائة دولة.

مناهج تدوين الحديث في مصر وغيرها:

قال المؤلفان:

كان الغرض من تدوين الحديث في مصر وغيرها في القرن الأول حفظ السنة النبوية من الضياع، وصيانتها من أن يتطرق إليها الوضع، فكانت كتابة الحديث آنئذ كتابة فردية، ثم ما لبثت أن دونت في الصحف بجانب حفظها في الصدور.

أما في القرن الثاني فقد بدأ تدوين السنة فيه على يد الزهري المتوفى سنة ١٢٤هـ وكان منهج التدوين يقوم على جمع الأحاديث التي تدور حول موضوع واحد في مؤلف خاص، فكان لكل باب من أبواب السنة مؤلف خاص به تدون فيه الأحاديث المتصلة بموضوعه مختلفة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

ثم قال الشيخان:

وكانت المرحلة الثانية من مراحل التدوين في القرن الثاني، بعد الزهري حيث قام الأئمة: مالك، وابن جريج، وسفيان الثوري وغيرهم فجمعوا أحاديث الأبواب وضموا بعضها إلى بعض فكانت مصنفا واحدا ومزجوا الأحاديث بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين، ونسج على هذا المنوال بقية أهل عصرهم.

ولم يصلنا من مؤلفاتهم إلا موطأ مالك ومسند الشافعي، والآثار للإمام محمد بن الحسن الشيباني ووصف لبعض المؤلفات الأخرى وأغلب الظن أن العلماء أدمجوها في مؤلفاتهم بعد ذلك، بجانب حفظها في القلوب.

وكان الغرض من الجمع في هذا القرن الثاني هو خدمة التشريع وتسهيل استنباط الأحكام، من أمثلة ذلك: "موطأ الإمام مالك الذي يعتبر أول مصنف من المصنفات

الصحيحة رتب على الأبواب.

قال أبو بكر العربي: الموطأ هو الأصل الأول واللباب، وكتاب البخاري هو الأصل الثاني في هذا الباب وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذي.

وقد عني الإمام مالك في كتابه بتدوين الأحاديث القوية، ومكث في تأليفه وتنقيحه وتهذيبه أربعين سنة، وقد نهج في تدوين الحديث في كتابه أن يكون مرتبا على الأبواب فيذكر أحاديث كل باب ثم يتبعها بما ورد فيه من الآثار عن الصحابة والتابعين، وأما في القرن الثالث الهجري فقد أخذ التدوين شكلا جديدا غير الذي كان عليه فيما مضى، فقام علماء هذا القرن وأفردوا أحاديث الرسول ﷺ عن أقوال الصحابة وفتاوى التابعين، وتصدى بعضهم لتدوين الأحاديث التي يوهم ظاهرها التناقض، أو يقع في حسان البعض أنها غير صحيحة ويجمع الطعون الواردة عليها ويبين حقيقتها ويرد على تلك الطعون.

ثم راح المؤلفان فيينا أن مناهج التدوين في القرن الثالث ترجع إلى الطرق الآتية:

الطريقة الأولى: منهج التدوين على المسانيد :

ويتحقق بجمع المؤلف ما يروى عن الصحابي في باب واحد من غير تقييد بوحدة الموضوع، واتسم هذا المنهج بإفراط الحديث وتجريده من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين، وجمع كل ما يروى عن الصحابة وإن اختلفت موضوعات الأحاديث فمثلا يوجد حديث للصلاة بجانب حديث الصوم وهكذا مع الجمع بين الحديث الصحيح وغيره، فيذكر صاحب المسند مثلا أبا بكر الصديق رضي الله عنه ويجمع ما رواه من الأحاديث، ثم عمر رضي الله تعالى عنه وهكذا.

وقال المؤلفان: وكان منهم من يرتب أسماء الصحابة على القبائل فيقدم بنى هاشم ثم الأقرب فالأقرب إلى رسول الله في النسب، ومنهم من رتبها على السبق في الإسلام فقد

العشرة المبشرين بالجنة ثم أهل بدر ثم أهل الحديبية ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح ثم من أسلم يوم الفتح، ثم أصاغر الصحابة سنا ثم النساء.

ومن سار على هذه الطريقة الإمام أحمد بن حنبل.

ومنهم من رتبهم على حروف المعجم كالطبراني في المعجم الكبير، وطريقة المسانيد هذه هي التي ابتدأ التأليف عليها في القرن الثالث الهجري، وأول من قام بذلك هو عبد الله بن موسى العيسى الكوفي ومسدد بن مسرهد البصري ونعيم بن حماد وغيرهم، ثم انتشر التأليف على هذه الطريقة بعد ذلك بين الأئمة والحفاظ كالإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه.

ثم قال المؤلفان: ومن مزايا هذه الطريقة، هي تجريد الأحاديث النبوية عن غيرها، فقد أفردت أحاديث الرسول بالتدوين، وجردت من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين، ففي هذه الطريقة إذا نوع من استقلال الحديث عن الفقه.

ثم قالوا: وأما عيوب هذه الطريقة فهي صعوبة الوقوف على الحديث في المسند، لعدم جمع الأحاديث المتناسبة في موضوعاتها في باب خاص، كما كان من عيوبها تعذر معرفة درجة الحديث من الصحة والضعف والاحتجاج به أو عدمه.

ثم قال: ومما هو جدير بالذكر أن العلماء في هذا العصر كانوا على درجة عالية من معرفة الصحيح من الأحاديث التي دونوها أو دونت لهم، ومعرفة الضعيف منها ومعرفة عللها، فكانوا على علم بحال المتن والأسانيد التي في هذه المسانيد.

الطريقة الثانية: منهج التصنيف على الأبواب:

ويقوم على تخريج الحديث على أحكام الفقه وغير ذلك، وتبويب الأحاديث وترتيبها ترتيباً موضوعياً، وتنوعها أنواعاً مختلفة بحيث يجمع المصنف ما ورد في كل حكم وفي كل باب على حدة، فيجمع الأحاديث المتعلقة بالصلاة في باب، والمتعلقة

بالصوم فى باب وهكذا، وأهل هذه الطريقة منهم من اقتصر على إيراد ما صح فقط كالشيخين "البخارى ومسلم".

ومنهم من لم يقتصر على ذلك كأبى داود والترمذى والنسائى، وكان من مزايا هذه الطريقة سهولة الحصول على الحكم الشرعى وغيره من الباب الخاص به، والوقوف على درجة الحديث ببسر وسهولة بخلاف الطريقة الأولى "طريقة المسانيد" حيث يسهل فيها الحصول على المطلوب، وهذا ما دعا الإمام البخارى إلى أن يتجه فى كتابه إلى الاختصار على الحديث الصحيح وتبعه الإمام مسلم سيرا على منهجه.

وكان لهما الفضل فى تمهيد الطريق أمام طلاب الحديث ليصلوا إلى الصحيح من الأحاديث دون عنا.

الطريقة الثالثة: طريقة الجمع لبعض الأحاديث والطعون الموجهة إليها والرد عليها:

كما فى كتاب "تأويل مختلف الحديث" لابن قُتيبة المصنف على هذه الطريقة.

العلوم التى صاحبت تدوين السنة:

قال المؤلفان:

كانت القرون الثلاثة الأولى أزهى وأسعد عصور السنة النبوية بأئمتها المحدثين ومصنفاتهم النفيسة الخالدة، وقد تمخضت بحوث الأئمة وتدوينهم للسنة إلى علوم كانت قمة ما وصل إليه العقل البشرى، وأصبح ما عرف التاريخ من القواعد العلمية السليمة للرواية والأخبار، لم يكن بعدها مجال للتثبت، وقد نسج على منوال علماء الحديث كثيرون من علماء السلف فى سائر مجالاتهم العلمية الأخرى كالتاريخ، والفقه، والتفسير، والأدب وغير ذلك.

وهذه العلوم هى ما تسمى: بعلم أصول الحديث، أو علم الحديث "دارية" ذلك أن

علم الحديث ينقسم إلى قسمين:

الأول- علم الحديث رواية: وهو علم يعرف به ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، ونقل ما أضيف من ذلك إلى الصحابة والتابعين على الرأي المختار.

الثاني- علم الحديث دراية وهو علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن، كما قال الشيخ عز الدين بن جماعة، وقال شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر، أولى التعاريف له أن يقال: "معرفة القوانين المعرفة بحال الراوى والمروى، والتعريفان يتفقان في البحث عن الراوى والمروى من حيث القبول أو الرد.

وقد نشأ أصول هذا العلم من نشأة الحديث، إذ كانوا يطلبون من الراوى التثبت وينقدون المرويات، وقد ازداد الحرص على هذا منذ وقوع الفتن، فكانوا يقولون سمو لنا رجالكم كما زاد الطلب أيضا عندما قام ابن شهاب الزهري بجمع الحديث من حامليه في الدفاتر والصحف.

ثم بعد ذلك كتب الإمام الشافعي بعض المسائل في كتابيه "الأم، والرسالة" وكان الأول من ألف في بعض بحوث هذا العلم هو الإمام علي بن المديني، كما تكلم في مسائله البخاري ومسلم والترمذي من علماء القرن الثالث، وقام الترمذي فأشاع مسائل هذا العلم وجمع بعضها في خاتمة جامعة.

ثم قال الشيخان:

وكانت مؤلفات علماء القرن الثالث في هذا العلم غير جامعة لكل أنواعه في كتب خاصة، ولا مستقلة قائمة بذاتها، وإنما تعرضوا لبحث هذه العلوم أثناء تأليفهم وجمعهم للمرويات، فمنهم من جعلها مقدمة لمؤلفه كما فعل الإمام مسلم ومنهم من جعلها خاتمة تبين مراده من المصطلحات كما صنع الترمذي في آخر جامعهم.

وعنى الإمام البخارى فألف كتبه في التواريخ الثلاثة، الكبير والأوسط والصغير، كما ألف أيضا في تواريخ الرواة الإمام محمد بن سعد "كتاب الطبقات الكبرى" وألف البعض في الثقات كأبي حاتم بن حبان المتوفى سنة ٣٥٤هـ، كتاب "الطبقات" وخصص البعض مؤلفات في الضعفاء والعلل ككتاب الضعفاء للبخارى، وكتاب الضعفاء للنسائي. ورأى بعض العلماء أن هذه الكتب تضمنت اصطلاحات خاصة بأهل الحديث وقواعد كثيرة لهم، يعرف بها المقبول والمردود، ففكروا في تخليصها من هذه الكتب وجمعها في علم خاص وتدوينها في كتب مستقلة، وكان ذلك في القرن الرابع - حيث نضجت العلوم واستمر الاصطلاح، فألف القاضى أبو محمد الحسن بن عد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي المتوفى ٣٦٠هـ كتاب "المحدث الفاصل بين الراوى والواعى" فجمع كثيرا من أنواع هذا العلم، ولكنه لم يستوعب جمع بحوثه، ثم صنف الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى المتوفى ٤٠٥هـ كتابه "معرفة علوم الحديث" ولكنه لم يهذب ولم يُرتب ثم ألف الحافظ الخطيب أبو بكر البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣هـ كتابا في أصول الحديث سماه الجامع لأدب الشيخ والسامع، ثم كثر التصنيف بعد ذلك وتتابع. ثم قال المؤلفان: وقد تفرعت الدراسة في هذا الفن إلى علوم كثيرة من أهمها:

(١) علم الجرح والتعديل، أو علم ميزان الرجال:

وهو علم يبحث عن الرواة من حيث ما ورد في شأنهم من تعديل يزينهم، أو تجريح يشينهم، وتكلم في هذا العلم كثيرون من عهد الصحابة إلى المتأخرين من العلماء، فمن الصحابة: ابن عباس، وعبادة بن الصامت ومن التابعين سعيد بن المسيب والشعبي.

أما ابتداء التصنيف ووضع الكتب في الجرح والتعديل، فلم يكن إلا في القرن الثالث وكان من أوائل الذين ألفوا في هذا العلم: يحيى بن معين وأحمد بن حنبل.

١- معرفة الصحابة:

وهو من العلوم التي تناولها علماء مصر- وغيرها بالدراسة والتصنيف وتعتبر معرفة الصحابة، فنا هاما من أجل فنون علوم الحديث.

وقد عنى به العلماء، في القديم والحديث، ولهذا العلم ثمرته العظيمة وهي: معرفة الحديث المتصل والمرسل.

قال الحاكم ومن تبحر في معرفة الصحابة فهو حافظ كامل الحفظ فقد رأيت جماعة من مشايخنا يروون الحديث المرسل عن تابعي عن رسول الله ﷺ يتوهمونه صحابيا، وربما رووا المسند عن صحابي يتوهمونه تابعا".

وقد ألفت في معرفة الصحابة كتب، مرتبة على الحروف أو على القبائل أو غير ذلك منها.

١- علم تأويل مشكل الحديث:

ويسمى مختلف الحديث، وهو التوفيق بين ما ظاهره التعارض من الأحاديث وأول من تكلم في هذا العلم هو الإمام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤هـ. صنف فيه كتابه المعروف باختلاف الحديث ولم يقصد استيفاءه، وإنما ذكر جملة من ينبه بها على طريقة الجمع بين ما ظاهره التناقض، ثم صنف فيه من علماء القرن الثالث ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦هـ، وسمى كتابه "تأويل مختلف الحديث" وصنف فيه أيضا ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ وأبو يحيى زكريا بن يحيى الساجي المتوفى سنة ٣٠٧هـ.

١- معرفة غريب الحديث:

وهو علم يعنى ببيان معاني بعض الكلمات الغامضة، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه أفصح الناس وكان يخاطب الوفود على مختلف ألسنتهم بما يفهمونه، فلما كانت الفتوحات، ودخل في الإسلام كثير من العجم ونشأ جيل تشوب العجمة لسانهم

خيف على الحديث النبوي أن يستلحق فهمه على بعض الناس فانبرى جماعة من أتباع التابعين، فتكلموا في غريب الحديث أمثال: مالك بن أنس وسفيان الثوري، وأول من صنف في غريب الحديث أبو عبيدة محمد بن المثني التميمي المتوفى سنة ٢١٠هـ وألف فيه أيضا من علماء القرن الثالث: أبو عبيدة القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ، كتابا كان عمدة في هذا الفن جمعه في أربعين سنة.

ثم جاء ابن قتيبة الدينوري فنهج منهج أبي عبيد، وصنف كتابه المشهور، وممن صنف فيه أيضا الإمام إبراهيم الحربي المتوفى سنة ٢٨٥هـ ويقال: إن أول من ألف فيه: أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي الحافظ، كتابه "غريب الحديث والآثار" ولعل من ذهب إلى ذلك يقصد أول من ألف في غريب الحديث مع الاستقصاء في الجملة، وإلا فأول من ألف فيه على الصحيح النضر ابن شميل المازني، وكتاب أبي عبيد هذا هو القدوة في هذا الشأن وقد أفنى فيه عمره حتى لقد قال فيما يروى عنه: جمعت كتابي هذا في أربعين سنة. وألف في غريب الحديث غيرهم.

١ - معرفة علل الحديث:

والعلة عبارة عن سبب غامض قادح في الحديث مع أن الظاهر السلامة منه، ويتطرق ذلك إلى الإسناد الجامع شروط الصحة ظاهرا.

وقد تطلق العلة على غير مقتضاها ككذب الراوي، وغفلته وسوء حفظه ونحوها من أسباب ضعف الحديث، وقد يطلقها بعضهم على مخالفة لا تقدر كإرسال ما وصله الثقة الضابط حتى قال: "من الصحيح صحيح معلل كما قيل منه صحيح شاذ"^(١).

أما كيفية إدراك العلة ومعرفتها فهو: تفرد الراوي ومخالفة غيره له مع قرائن تضم إلى ذلك تنبه العارف بهذا الشأن على وهم وقع بإرسال في الموصول أو وقف في المرفوع أو

(١) تدريب الراوي - ص ١٦١.

دخول حديث في حديث أو غير ذلك بحيث يغلب على علته فيحكم بعدم صحة الحديث أو يتردد فيتوقف فيه، والطريق إلى معرفته: جمع طرق الحديث والنظر في اختلاف رواته وضبطهم وإتقانهم.

والتصنيف على العلل هو جمع الأحاديث المعللة وتدوينها مرتبة ترتيباً موضوعياً مبيناً فيها مع كل حديث علته.

وقد يلحق بعض المصنفين هذه الطريقة بطريقة المسانيد فيصنف مسنده معللاً وممن صنف في العلل: الإمام علي بن المديني، والإمام أحمد بن حنبل، والإمام البخاري والإمام مسلم، والإمام أبو يحيى زكريا بن يحيى الضبي المتوفى سنة ٣٠٧هـ، والإمام الترمذي.

١- المشيخات:

ومن الأنواع التي صنف في القرن الثالث "كتب المشيخات". وهي التي تنص على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف وأخذ عنهم، وأجازوه وإن لم يلقيهم.

كمشيخة الحافظ أبي يعلى الخليل، ومشيخة أبي يوسف يعقوب بن سفيان بن حوان المتوفى سنة سبع وسبعين ومائتين ومشيخته في ستة أجزاء مرتبة على البلاد.

٢- الطبقات:

ومن الأنواع التي صنف في هذا القرن أيضاً "كتب الطبقات". وهي التي تنص على ذكر الشيوخ وأحوالهم، ورواياتهم طبقاً بعد طبقة، وعصرًا بعد عصر إلى زمان المؤلف. وممن ألف كذلك في القرن الثالث أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري المصري الحافظ أحد شيوخ البخاري ألف "طبقات الرواة" وتوفي سنة ثلاثين وقيل سنة أربعين أو ست وأربعين ومائتين.

وألف الإمام أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الرازي الحنظلي كتاب "طبقات التابعين" توفي سنة خمس أو سبع وسبعين ومائتين.

١ - رواية الأكابر عن الأصغر والآباء عن الأبناء؛

وهي من أهم الأنواع، ومن فوائده ألا يتوهم أن المروى عنه أفضل وأكبر من الراوي لكونه الأغلب في ذلك، ومنها ألا يظن أن في السند انقلاباً.

ومن الكتب المصنفة في هذا النوع في القرن الثالث: كتاب "ما رواه الكبار عن الصغار والآباء عن الأبناء". تأليف الحافظ أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن يونس بن المنجنيقي البغدادي الوراق نزيل مصر المتوفى سنة أربع وثلاثمائة.

قال المؤلفان والحق أن أنواع علوم الحديث كثيرة لا تعد، وكما قال الحازمي: علم الحديث يشتمل على أنواع كثيرة تبلغ مائة كل نوع منها علم مستقل، ولو أنفق الطالب فيه عمره لما أدرك نهايته.

علوم السنة؛

قال المؤلفان وكانت مؤلفات علماء القرن الثالث في علم المصطلح غير مستقلة، وإنما تابعه لمؤلفات كبيرة كالإمام مسلم في مقدمة صحيحة، والإمام الترمذي في خاتمة جامعة، وهكذا ثم قالوا:

وأما استقلال هذا العلم والتصنيف في جميع بحوثه فلم يكن إلا في القرن الرابع على يدى الراهب رمزي المتوفى سنة ٣٦٠ هـ. وإذا ألقينا النظر على مؤلفات علوم السنة من القرن الرابع إلى آخر العصور المتأخرة ترى أنها لم تبلغ نضجها وتمامها في التصنيف إلا بعد القرن الثالث، بخلاف المصنفات الأخرى في علم الحديث رواية فإنها وصلت إلى مرحلة التمام والنضج في القرن الثالث ولم تكن أعمال العلماء بعد هذا إلا جمعا وترتيباً وتهذيباً.

وأرجع المؤلفات ذلك لسببين:

الأول: أن علماء القرن الثالث حملوا على عاتقهم مهمة جليلة وشاقة، وهي تدوين السنة النبوية وتصنيفها، فعنى بعضهم بتلخيصها من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين وعنى الآخرون بتلخيص الصحيح من غيره وتمييزه منه وهكذا، فانشغلهم بهذا العمل الضخم لم يكن ليتمكن لهم من طول البحث أو كثرة التصنيف في علوم السنة خاصة وأنهم ليسوا في حاجة كبيرة إلى مثل هذه التصنيفات؛ لأنهم حملوا مقاييسهم وشروطهم في السند والمتن وعلى ضوءها دونوا ما دونوا مشافهة:

الثاني: أن علماء القرن الرابع لم ينشغلوا بمثل ما انشغل به أهل القرن الثالث الذين كفوهم عناء البحث فوجدوا في مصنفاتهم ما يريدون.

ثم إن الرواية الشفاهية عندهم فترت والرحلات العلمية قلت، فكان لديهم نوع من الاستقرار دعاهم لأن يتموا ما بدأهم سلفهم بالنسبة لعلوم السنة.

أنمة القرن الثاني الهجري؛

ذكر المؤلفان من أنمة القرن الثاني الهجري الذين نزلوا مصر.

الليث بن سعد رضى الله عنه

وعرفا به وذكرنا بعض مآثره وبعض نماذج من أحاديثه.

والإمام الشافعى رضى الله عنه:

عرفا به وذكرنا بعض مآثره ومؤلفاته ونماذج من أشعاره ثم ختما بوصية الإمام

الشافعى رضى الله عنه وأرضاه.

المحدثون فى مصر والأزهر من القرن الثالث حتى آخر القرن العاشر؛

قال المؤلفان:

يعتبر القرن الثالث العصر الذهبي لتدوين الحديث النبوي، حيث أشرقت فيه أمهات الكتب والمراجع والمسانيد والصحاح الستة.

فإذا ما جاء القرن الذي يليه ونهض فيه الأزهر الشريف، وأشرق بملحقاته وأروقته، واستقبل طلاب الحديث والعلم من سائر أنحاء العالم الإسلامي، كان لهذه المراحل أهميتها الكبرى في إثراء الحياة الإسلامية بالمصنفات، وكان طبيعياً أن تضطلع مصر بدور مذكور مشكور في مضمار تدوين السنة وحفظها وإحيائها ونهضتها، خاصة إذا علمنا عراققتها في هذا المجال من لدن عصر الصحابة الذين نزلوا فيها ونشروا الحديث والعلم في كل أرجائها، وإذا علمنا أيضاً نهضة الأزهر الكبرى التي أشرقت على العالم بأسره نشرًا للإسلام والحديث وسائر العلوم، ومن أعلام المحدثين في هذا العهد:

١- الإمام النسائي :

وهو أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن بحر النسائي الحافظ، صاحب السنن الصغرى والكبرى.

ولد بنساء من بلاد خراسان - ستة خمس عشرة ومائتين، وقيل أربع عشرة ومائتين ونشأ محبا للعلم، فطوف بكثير من الأقطار الإسلامية.

واستوطن النسائي مصر، وأقام بزقاق القناديل، قال الحاكم: كان النسائي أفاقه مشايخ مصر في عصره، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار، وأعرفهم بالرجال .

١- ابن الحداد :

من المحدثين المصريين الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الكنانى المصرى شافعى المذهب عرف باشتغاله بالحديث وكثرة عبادته وقد تلقى العلم على كثير من شيوخ عصره منهم أبو يزيد القراطيسى ولزم المحدث الكبير أبا عبد الرحمن النسائي وكان مشهوراً بعبادته وكثرة صيامه يصوم يوماً، ويفطر يوماً.

ثم ذكر المؤلفات عددا كبيرا من المحدثين في مصر والأزهر من القرن الثالث حتى آخر القرن العاشر.

منهم الحافظ ابن حجر العسقلاني:

فعرفا به، وذكر عمله، خطيبا للأزهر الشريف.

فقال: تولى ابن حجر الخطابة في عدة مساجد من أكبر المساجد بالقاهرة مثل الجامع الأزهر وجامع عمرو وغيرها من المساجد الكبرى بالقاهرة.

ثم ذكر أهم مؤلفاته وعلقا على بعض المؤلفات تعليقا سهلا يفيد المتخصص وغير المتخصص.

ومنهم الإمام العيني والإمام السيوطي والإمام القسطلاني والإمام الشعراني الأزهرى المحدث والحافظ شرف الدين الدمياطي.

المحدثون المصريون من القرن الحادى عشر حتى القرن الرابع عشر الهجرى:

ذكر المؤلفان عددا كبيرا من المحدثين المصريين من القرن الحادى عشر- حتى القرن الرابع عشر الهجرى.

منهم علاقة مصر الإمام عبد الرؤوف المناوى.

وعرفا به فقالا: هو الإمام عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن على الحدادى المناوى بضم الميم كما فى كشف الظنون.

وقالا عنه: كان أعلم معاصريه بالحديث وأكثرهم فيه تصنيفا وإجادة وتحريرا.

وصفة الحافظ المقرئ فى فتح المتعال بالعلامة محدث العصر علامة مصر، ومن تصانيفه فى الحديث وعلومه شرح على متن النخبة كبير وآخر صغير، شرح على شرح النخبة سماه "اليواقيت والدرر" وشرح على الجامع الصغير سماه "فيض القدير" فى عدة

وذكر الشيخان : العلامة المحدث أحمد شاكر....

فعرفا به :- فقالا : هو الشيخ المحدث أحمد شاكر، علم السنة المتبحر المحقق الفقيه ولد فى يوم الجمعة ٢٩ من جمادى الآخر سنة ١٣٠٩ هـ الموافق ٢٩ من يناير سنة ١٨٩٢م....

قضى أيام طفولته الأولى بالقاهرة، ثم سافر مع والده إلى السودان حيث كان والده يعمل قاضى القضاة بالسودان، ثم عاد بعد أربع سنوات مع والده إلى القاهرة، مع والده إلى القاهرة ؟ وعمل والده أمينا للفتوى بمصر...

وكان والده شيخا لعلماء الإسكندرية ... بعد أن والده إلى القاهرة التحق نجله الشيخ أحمد شاكر بالمعهد الدينى

وحصل على الشهادة العالمية عام ١٩١٧م، ثم عين مدرسا بمدرسة عثمان ماهر لأربعة أشهر، ثم انتقل إلى القضاء وعمل عضوا بالمحكمة الشرعية العليا.. وأحيل إلى المعاش عام ١٩٥١م... قال عنه الأستاذ محمد حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة فى تحقيق كتاب المسند للإمام أحمد بن حنبل ...

" أحب الشيخ أحمد السنة المطهرة منذ شبابه وشغف بفقهها والتعمق فى علومها، والتنقيب عن روائعها ونفائس كتبها "

وما زال يتعهد هذا الحب وينميه ويسقيه بما يتيح له الله من التوفيق، فجمع كتب الحديث وعلومه، المخطوط منها والمطبوع فى كل بلدان العلم، مما جعل مكتبته لا نظير لها مطلقا. عند عالم ممن أعرف، وقد ساهم فى إحياء كتب السنة مساهمة مشكورة، فنشر كثيرا من كتبها نشر علميا ممتازا، وهو يتوج أعماله بنشر- كتاب " المسند للإمام العظيم أحمد بن حنبل "

"لقد كانت صعوبة المسند مصدر شكوى من كبار المحدثين وأعلامهم، وهذا ما جعل الحافظ الذهبي يقول: "فلعل الله تبارك وتعالى أن يقيض لهذا الديوان السامى من يخدمه ويؤوبه، ويتكلم عن رجاله، ويرتب هيئته ووضعه".

وإلى جانب مؤلفات المحدث الشيخ أحمد شاکر وتحقيقه لكتاب المسند وغير ذلك، وإلى جانب هذا حقق كتاب " الرسالة " للإمام الشافعى تحقيقًا علميًا دقيقًا اتسم فيه بالعمق والدقة على أقدم نسخة بخط الربيع بن سليمان تلميذ الشافعى

ومنهم :- المحدث الشيخ محمد محمد أبو زهو :

وهو العلامة المحدث الشيخ محمد محمد حسن أبو زهو ولد في ٦١٢ ١٩٠٩ في قرية ديبى مركز ل شيل بحيرة، وتخرج في كلية الشريعة عام ١٩٣٩ وحصل على الدكتوراه عام ١٩٤٦م عمل إمام مجلوان وبولاق ومنشية البكرى ثم مدرسا بمعهد سوهاج ومن مؤلفاته "مكانة السنة النبوية" وكتابه القيم النفيس " الحديث والمحدثون " وهذا الكتاب يعد بحق أول كتاب أرخ للسنة النبوية وعلومها في جميع أدوارها وقد حصل بهذا الكتاب على شهادة الدكتوراة

يقول الشيخ أحمد عمر :- ومن هذا الكتاب انطلقت رسائل وبحوث علمية وكتب كثيرة

*يقول الشيخان : ومن المحدثين المصريين في هذه الفترة :

الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا - صاحب الفتح الربانى

ولد الشيخ في قرية من قرى مصر وقبل أن تضعه والدته رأت في منامها من يقول لها إذا وضعت قسم مولدك " أحمد " واحرصي على تحفيظه القرآن

وبالفعل التحق الشيخ بكتاب القرية، وحفظ القرآن الكريم وتعلم أحكام التجويد على يد معلم القرية " الشيخ محمد أبو رفاعى " وكان كفيفا تقيًا ثم سافر إلى

الإسكندرية ولم يكن معهداً دينياً قد أنشئت مبانيه الحديثة ولكن طلبة العلم كانوا يدرسون فى مسجد" الشيخ "

ولما تذوق العلم وتقدم فى الدراسة فكر فى المستقبل وما يكون بعد إتمام الدراسة وأن كل عالم من العلماء كانت له صناعة بجانب علمه يتكسب منها لئلا يكون العلم وسيلة لطلب الرزق ...

ذكر الشيخان من علماء الحديث المصريين الذين جاهدوا فى مجال تحقيق السنة وخدمتها الأستاذ: محمد فؤاد عبد الباقي فعرفا به : فقالا:-

هو العالم الجليل الذى خدم السنة المطهرة ... ولد سنة ١٨٨٢م بالوسطى بصعيد مصر. والتحق بمدرسة أسوان الابتدائية . ثم هبطت الأسرة إلى القاهرة . ثم دخل مدرسة عباس الابتدائية، ثم خلفها إلى مدرسة الأمريكان فى حى الأزبكية . ولم ينتظم فى دراسة رسمية مألوفة ، بل أخذ يدرس دراسة حرة حسب هواه ورغبته، وبعد أن أنس من نفسه الكناية العلمية والقدرة على التعليم قام بالتدريس فى بعض المدارس فى مصر . وكان من زملائه فى هذا المجال المرحوم الأستاذ صادق الرفاعى ...

ومن آثاره العلمية:

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وكذا مفتاح من كنوز السنة وهو معجم مفهرس عام تفصيلى موضوع للكشف عن الأحاديث النبوية الشريفة المدونة فى كتب الأئمة الأربعة عشر المشهورين
ومن أعماله أيضا : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى .. اشترك معه فى وضعه مجموعة من المستشرقين ...

ومن أعماله أيضا: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان "وهو فى ثلاثة أجزاء وله مؤلفات أخرى فى السنة وغيرها منها المطبوع ومنها المخطوط ...

مقارئ الحديث؛

ختم الشيخان الكتاب بمقارئ الحديث فقالا:

لقد انتشرت في مصر مقارئ للقرآن وأخرى للحديث الشريف، ومقارئ جمعت بين القرآن والحديث، ولئن قلت أو كادت لا توجد هذه المقارئ إلا أنه يوجد حتى الآن بعض المقارئ^(١).

والحق أن الجيل الماضي كان خاتمة لعهد الأزهر حظيت فيه الكتب المشتهرة الجامعة لأحاديث رسول الله بالتلاوة المباركة إذا كانت تلقى من الاحتفاء والإقبال ما يجعل انتشارها سنة متبعة، والمسنون من رجالها اليوم يذكرون مجالس الشيخ يوسف الدجوى والشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى، والشيخ محمد إبراهيم السمالوطى والشيخ منصور ناصف، وكلهم من علماء الحديث، يشرحونه في الدروس الدينية تارة، ويجلسون للاستماع المتصل تارة أخرى

ثم يقول الشيخان وقد يظن ظان أن تلاوة الحديث في مجالس العلم لا تؤدي فائدتها الجزيلة إذا لم تقرن بالشرح بحيث يكون مجلس الحديث درساً لا قراءة، والحقيقة أن نور الحديث يشع على القلوب المؤمنة فتأخذ بنصيبها فيه، كل على حسب استعدادة

فالحديث كلام عربي يفيض على سامعيه وتاليه معا بأطيب النفحات، وفيه ذكرى لمن كان له قلب، ومن فضل الله أن مصر - كنانة الله في أرضه - قد سعدت بالحديث النبوي منذ أشرق الإسلام في ربوعها الآهلة.

(١) كالمقرأة التي توجد بالجامع الأزهر في إحدى أرواقه.